

تجارة الكارم ودورها في تحقيق التواصل الحضاري بين مصر والعراق في عصر المماليك

د. منيرة بنت مدعث القحطاني*

الملخص:

هدفت الباحثة في دراستها الحالية إلى تتبع تجارة الكارم، وتحديد سبب التسمية والنشأة والتطور، وبيان دورها في تحقيق ازدهار اقتصادي بين البلدين، وإبراز الدور الحضاري الذي جسّده أولئك التجار في تعاملاتهم، والأسر التي عنيت بتجارة الكارم، والمناصب التي تقلدوها. ولتحقيق أهدافها عرضنا لمفهوم الكارم من حيث المصطلح وبيان النشأة والتطور، وتبسيط البحث حول الأثر السياسي والاقتصادي لتجارة الكارم بين مصر والعراق، وإبراز أهم الأسر التي اشتهرت بتجارة الكارم. وتوصلت النتائج إلى أن مصطلح الكارم ارتبط بتجارة التوابل، وأن كثيراً من الأسر امتهنت هذه التجارة، وتبين أن هناك اشتراطات وضعت لمن يتولى منصب رئيس تجار الكارم، وأبرزها أن يكون ملماً بهذه التجارة ومؤهلاً ليكون مرجعاً للتجار. وأن العلم الشرعي كان له أثر في وعي التجار، ونشرهم المعاملات الإسلامية. وقد أسهمت عدد من الموانئ في رواج تجارة الكارم، كميناء سيرا، والبصرة. وأوصت الباحثة بإجراء دراسات تركز على الكارم وأثره اجتماعياً، وثقافياً، ولغوياً في تلك المجتمعات.

*- أستاذة مختصة في التاريخ الإسلامي ، بقسم التاريخ جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

Abstract :

karem trade and its role in achieving cultural interaction between Egypt and Iraq in the era of the Mamluks

The purpose of the researcher in the study To keep track of the current karem trade and determine the cause of the label and the origination and evolution, and the statement of its role in achieving economic prosperity between the two countries, highlighting the cultural role that his body those traders in their dealings, and families that are meant to trade in karem, and positions held. To achieve the objectives of our offer in terms of the concept of karem term and the statement of origination and development, and bring research on the political and economic impact of trade karem between Egypt and Iraq, and to highlight the most important families, famous trade karem. The results found that the term karem been associated with the trade in spices, and many of the families she started the trade, and show that there are requirements placed those who have the prime karem traders, most notably should be familiar with this trade and eligible to be a reference for traders. And that forensic science had an impact in the consciousness of traders, and deployment of Islamic transactions. The number of ports have contributed in vogue karem trade, port Seraphington, and Basra. The researcher recommended conducting studies focused on karem and its impact socially, culturally, and linguistically in those communities.

مقدمة:

العلاقات الاقتصادية تُعدُّ مظهرًا من مظاهر التكامل والوحدة -سواء بين الأفراد أو الدول- وكانت -ولا زالت- محورا مهما يسهم في تحقيق التواصل

الشامل لكل مناحي الحياة، ولا شك أن مستوى التنمية الاقتصادية التي تشهدها البلدان تسهم في تقوية تلك العلاقات، وينعكس أثرها على النواحي الاجتماعية والثقافية، وتؤثر فيها تارة النواحي السياسية، أو الجوار، أو طريقة التعامل في مجال التجارة، والتبادل النفعي.

والمتتبع لأي علاقة قامت على هذه المعمورة بين البلدان دولا أو دويلات، أو ممالك، أو امبراطوريات، يجد أن الجانب الاقتصادي كان عاملا فاعلا في إقامتها أو هدمها. وكان الجانب الاقتصادي قديما يوظف في تقوية الروابط وضمنان الولاء، وتارة يستعمل كنوع من العقوبة الفاعلة بالضغط على الأفراد او المجتمعات. وباستقراء الواقع الاقتصادي الذي ساد في العصور الإسلامية، ندرك الجهود التي بذلت بين الشعب، والأسس التي قامت عليها، من حيث النشأة، والمجالات، والقواعد الأساسية التي ارتكزت عليها، وأشهر السلع التجارية، وطرق التجارة، ووسائلها، والنظم والعهود والضمانات التجارية التي سادت في العصور.

ولما كان مجال التجارة واسعاً، واتجاهاتها متعددة، وأنواعها متنوعة، ارتأت الباحثة أن تخصص بحثها بدراسة جانب من جوانب التجارة، وهو (تجارة الكارم (التوابل)، التي كان له دور على مرّ العصور في تقوية العلاقة الاقتصادية بين حضارتي النيل والفرات، وتحقيق التواصل الحضاري بينهما. لقد أسهمت تجارة الكارم - التوابل - في تقوية العلاقة الاقتصادية، والتواصل الحضاري بين حضارتي النيل والفرات، فقامت بدور فعال في الربط بين الحضارتين على مرّ العصور، ولم ينل هذا الموضوع ما يستحقه من عناية الدارسين فلا تزال المكتبة التاريخية العربية، على الرغم من كثرة الدراسات والبحوث في التاريخ الإسلامي، تفتقر إلى مزيد من الدراسات حول تجارة الكارم

التي بدأت تتزعزع وتنمو في العصور الإسلامية على فترات متطاولة من الزمن، ثم انتشرت تداولها بين مدن العالم الإسلامي.

يضاف إلى ذلك أن الباحثة تهدف من هذه الدراسة إلى إبراز أهمية تجارة الكارم، ودورها في التواصل الحضاري؛ لنكشف جانباً مشرقاً من جوانب عصورنا الخالدة، تلك العصور التي برهن العرب المسلمون فيها للعالم أجمع كيفية التواصل الحضاري في أرقى صوره عن طريق التجارة، مع التأكيد على التطرق لهذا الموضوع يبين فضل المسلمين، وسبقهم الأمم الأخرى في الاحتكاك الحضاري بأجلى صوره، وخصوصاً هذا النوع من التجارة، كما سنرى في ثنايا البحث.

1- الكارم: المصطلح والنشأة والتطور

مصطلح الكارم:

اختلفت الآراء حول تعريف الكارم؛ فهناك من يرى أنّ تجارة الكارم تنسب إلى الكارمية، وهم فئة من كبار التجار كما تشير إليهم وثائق الجنيزة¹ اكتبى الأرقام بشكل يدوي بحيث لا تظهر النافذة الخلفية عند الضغط على الرقم، اشتغلوا باحتكار تجارة الهند، وجنوبي شرق آسيا، وشرق إفريقيا في التوابل، وغيرها من السلع الثمينة².

ويؤكد القلقشندي³ أنّ الكارم كلمة مشتقة من الكانم⁴؛ ثم عمّمت لتشمل الذين يعملون بتجارة التوابل، ولاسيما مجموعات التجار في مصر التي جلبت أنواع البهارات⁵، كالفلفل والقرنفل ونحوها، من الهند، ومن مناطق جنوب شرق آسيا إلى موانئ اليمن، فعرفوا به⁶.

ويرى بعضهم أنّ اسم الكارم مشتق من كواراراميناKuararimal، وهي كلمة أمهرية، تعني نوعاً معيناً من التوابل، وهو حب الهال الذي تاجر به الكارمية، ثم حرّفت فأصبحت كارم، وأطلقت على هؤلاء التجار⁷، فأصل

تسميتهم هنا تعود إلى سلعة من سلعهم⁸، وأحياناً ترد نسبتهم إلى نوع من العنبر الأصفر⁹، الذي كان يباع في أسواق القاهرة، إذ كان له أكثر من سوق مشهورة فيه¹⁰، ويؤكد ذلك ما ذكره أحد الباحثين من "أنّ الكارمية كما نعرفهم تجار التوابل، وغيرها من سلع الشرق بين المحيط الهندي والبحر الأحمر، ومصر"¹¹.

بينما يرى باحثون آخرون أنّ كلمة كارم تتكون من مقطعين: أولهما (كار) بمعنى حرفة، أو عمل، أو تجارة، وثانيهما (يم) بمعنى المحيط، أو البحر، أو النهر الكبير، ثم سقط حرف الياء من (يم)، فصارت كارم التي تعني العمل البحري، أو التجارة البحرية¹²، أو (كار البحر)، وهو معنى قد يدل على المشتغلين بأمور الملاحة، من ربابة ونواخذة، أكثر ممّا يدل على التجار الذين يركبون البحر، ويظهر هذا الفرق بين الدالتين واضحاً فيمن كتب عن الرحلات البحرية في المحيط الهندي، فالرامهرمزي¹³ ميّز في عبارة واحدة بين تجار البحر والبحريين، وهذا يعني التمييز بين حرفة التجار في البحار، وتجار البحر في تجارة هذه السلعة، وهذا يعني دلالة لفظية لذلك التقطيع السابق الذكر، وعموماً فكلمة (كار) لا تزال تعني الحرفة، أو العمل، وهو استعمال دارج، وقد تعني نوعاً من السفن، وهي كرر Krr، وكرّ Kr المصرية الأصل، والأولى مراكب ذات حجم أكبر من الثانية، تستعمل في نقل الحبوب، في حين تستعمل الثانية في نقل البضائع المختلفة، والنقل من مركب إلى آخر، وتسمية هذا النوع من المراكب تقترب من تسمية كار، أو كارات¹⁴، والذي يدعم هذا الرأي الإشارة التي وردت عند المؤرخ ابن أبيك الدواداري¹⁵ عن الكارم أثناء حديثه عن الغلاء الذي حدث في سنة 456هـ/1063م، إذ جعل من أسبابه "قلة التجار، وانعدام الوارد، وانقطاع الكارم"، ويدل ذلك على أنّ الكارم لم يكن حينذاك

مجرد تجارة في التوابل، والسلع الثمينة، ولكنه يشتمل على سلع غذائية، شكل انقطاعها سببًا في غلاء الأسعار¹⁶.

أما عن المقطع الثاني، وهو (يم) فيعني البحر الذي لا تُدرك سعته، أو يعني النهر الكبير، فالله -تعالى- خصّ نهر النيل بتسمية اليم بقوله - تعالى- الآية: (فاقذفه في اليم فليلقه اليمن بالساحل)¹⁷، والمسعودي¹⁸ يؤيد ذلك، بقوله: "وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحرًا، أو يَمًّا غير نهر مصر؛ لكبره"، وعلى ذلك فاليم المشار إليه في المقطع الثاني من كلمة كارم ليس المحيط الهندي، وإنما هو نهر النيل، وقد يكون أيضًا البحر الأحمر، ولاسيما أنّ رحلة الكارم كانت تمخر عبايها، فتبحر في البحر الأحمر حتى عيذاب، ثم تُحمل منها البضائع على ظهور الإبل عبر صحراء مصر الشرقية، ومنها إلى قوص¹⁹؛ لتبحر بها المراكب ثانية من قوص إلى فنادق²⁰ الكارم بالفسطاط في نهر النيل²¹. وهذا يعني أنّ الكارم كان في الأصل اسمًا مصريًا محليًا، تعرف به المراكب النيلية، لكنه اتسع ليشمل السفن المبحرة في البحر الأحمر إلى عيذاب، فأصبحت رحلة الكارم طويلة تمتد من عدن إلى الفسطاط، يُقطع شوطًا منها في البحر الأحمر، وشوطًا آخر في نهر النيل²². والعراقيون القدماء أطلقوا تسمية الكارم على المحطات التجارية القائمة في بلاد وادي الرافدين، فمنذ الألف الثاني قبل الميلاد، أقام الآشوريون (2000 ق.م - 1521 ق.م) عددًا من المراكز التجارية على الطرق المتجهة نحو آسيا الصغرى، أسموها كارم Karum²³، وتعني المركز الذي يعيش فيه التجار، أمّا في اللغة الأكديّة، فكانت تعني الميناء، أو المركز التجاري، أو المخزن، وقد أظهرت التنقيبات الأثرية وثائق تتضمن عقودًا تجارية، تبين وظائف التجار الذين كانوا بمثابة وسطاء تجاريين، مهامهم نقل البضائع، وإقراض الأموال بفائدة معينة، لدرجة أنّ أي شخص يقرض الناس المال، يُسمى بالكارمي²⁴.

أما التطور التاريخي للكارم، فتعود أقدم إشارة عن تجارة الكارم في مصادرها العربية الإسلامية إلى سنة 92هـ/710م، حيث تتحدث عن خروج القائد طارق بن زياد لفتح الأندلس، فالتقى في إحدى الجزر التي نزلها بتجار كارمية لم يكن بها غيرهم²⁵، ثم تسكت هذه المصادر عن الإشارة إليهم حتى العصر الفاطمي، إذ تعود لذكرهم²⁶، فيشير ابن أبيك²⁷ إلى أنّ انقطاع الكارم كان من أسباب الغلاء الذي حدث سنة 456هـ/1063م، وإشارة القلقشندي²⁸ إلى تمركز أسطول فاطمي لحماية سفن الكارم، فضلاً عما جاء في بعض وثائق الجنيزة التي ترجع إلى العصر الفاطمي من إشارات صريحة إلى الكارم²⁹، مما أدى ببعض الباحثين التأكيد على وجود الكارم في مصر قبل العصر الفاطمي³⁰، استناداً إلى النصوص السابقة المشار إليها³¹، وقد بذلوا جهوداً كبيرة لاجتذاب تجارة التوابل من الخليج العربي إلى البحر الأحمر، وطوروا مراكزهم التجارية على الطريق إلى الهند³²، وقد امتد العصر الفاطمي في مصر لأكثر من قرنين من الزمان (297-567هـ/909-1171م). أما الكارمية في العصر الأيوبي (567-648هـ/1171-1250م)، فقد ازدهرت في عهدهم تجارة الكارم؛ لما قام به الأيوبيون من جهود لتأمينها، وإقرار النفوذ المصري في البحر الأحمر³³، ذلك أنّ نشاط تجار الكارم تعرض منذ سنة 577هـ/1181م، إلى خطر بسبب التحرك الصليبي باتجاه البحر الأحمر، وذلك حين فكر أرناط³⁴ صاحبالكرك³⁵ في ضرب اقتصاد مصر، وذلك بتحويل تجارة هذا البحر إلى أيلة³⁶، ومن ثم إلى الموانئ الصليبية في بلاد الشام، وبذا كانت هذه أول محاولة اعتداء أوروبية على تجارة الكارم في البحر الأحمر³⁷.

وكما فعل الفاطميون، اهتم الأيوبيون بتأمين الطرق البحرية والبرية؛ فتصدّوا لخطر القراصنة في البحر الأحمر لحماية تجارة الكارم، فهيأوا سفناً من أسطولهم لهذه الغاية، وقد أكدت وثائق الجنيزة هذا الأمر³⁸، ونشروا

الخفراء في الطرق البرية بين موانئ مصر على البحر الأحمر و النيل؛ لتأمينها وحفظ تجارة الكارم، فكانوا يقطعونها دون أن يرهيم شيء³⁹، وقد أكد ابن جبير⁴⁰ على الأمن الذي كان يسود الطرق، لاسيما بين عيذاب وقوص التي هي أشقّ مراحل الطريق بين البحر الأحمر والإسكندرية، ودمياط بقوله: "إنّ أحمال التجار من القرفة والفلفل، وغيرها من التوابل تترك ملقاة، والقوافل صاعدة وهابطة، لا يتعرض لها أحد حتى يأخذها صاحبها".

2- الأثر السياسي والاقتصادي والتجاري لتجارة الكارم بين مصر

والعراق:

أكد العديد من مؤرخينا العرب والمسلمين⁴¹ على وجود تبادل تجاري بين مصر والعراق، وكانت تجارة الكارم من أهم السلع التي يتعامل بها التجار، ومن أهمها تجارة⁴² الفلفل، ومع مرور الوقت، أصبحت الكارمية تطلق على فئة التجار الذين كانوا يديرون تجارة التوابل الواردة إلى مصر من العراق⁴³. وكانت تجارة الكارم تخرج من البصرة إلى بغداد، وتتفرع في اتجاهين، يتجه الأول شمالاً إلى ديار بكر، ويتجه الثاني غرباً إلى دمشق، ومنها تخرج فروعها إلى موانئ ساحل البحر المتوسط، ثم جنوباً إلى مصر بحذاء الساحل إلى غزة، ثم عبر الصحراء إلى القاهرة⁴⁴. وقد استقرت أعداد كبيرة من تجار الكارم العراقيين بمصر من الذين تركوا وطنهم نتيجة المستجدات التي أعقبت سقوط الخلافة العباسية 656هـ/1258م، فأصبح بعضهم وكلاء، أو حتى وزراء للحكام، وأطباء، وفقهاء، وقضاة، ومدرسين، قدموا من مختلف مدن العراق، من بغداد، وتكريت، وأربيل، والموصل، ومن البلدان المجاورة للعراق⁴⁵ مثل تبريز⁴⁶، وتفليس⁴⁷، وتولى بعضهم منصب القضاء خارج مصر، ويروى أنّ التاجر الكارمي، عبد الله بن خضر الجزري تولّى القضاء بدمشق، وبغداد قبل غزو المغول للعراق⁴⁸.

لقد كان لتجار الكارم -على ما يبدو- أثر مهم في توثيق العلاقات الدولية، السياسية، والتجارية على السواء بين مصر والعراق، حرصاً منهم على ازدهار تجارتهم واستمراريتها، وتدعيم مكانتهم، من هذا المنطلق كان من الطبيعي أن يدركوا أولاً أهمية مصر، وموقعها التجاري في رحلاتهم؛ لذلك عملوا على تدعيم نفوذهم فيها، فضلاً عن جهود الإدارة المصرية في دعم مصالح التجار في العراق ورعايتها، وما حدث في سنة 704هـ/1304م خير دليل على ذلك، فعندما اشتكى بعض تجار الكارم العراقيين من تصرفات صاحب اليمن الذي أرهقهم بالضرائب، حذره السلطان الناصر محمد (709-741هـ/1310-1341م) من نتائج سياسته هذه⁴⁹.

كما ارتبطت مصر مع العراق بعلاقات سياسية جيدة، كان لتجار الكارم أثر مهم فيها، وذلك لكثرة ترددهم عليها، وعلاقتهم الطيبة مع حكامها⁵⁰. من ناحية أخرى، أرسلت مصر سفراءها من تجار الكارم إلى العراق أيضاً، وكانوا يُقابلون بحفاوة وإكرام، كان الهدف منها تقوية أواصر الصداقة بين البلدين، مع تبادل الهدايا⁵¹، كما كان بعض تجار الكارمية يدعمون مكانتهم في المناطق التي يتاجرون معها، وأثمرت العلاقات الطيبة بين مصر والعراق في تسلم بعض تجار الكارم مناصب هناك⁵².

وقد قامت تجارة الكارم بدور سياسي مهم بين البلدين، تظهرها تلك الواقعة التي حدثت أيام السلطان المملوكي المنصور قلاوون (678-689هـ/1279-1290م) الذي اهتم بموانئ البحر الأحمر؛ لأنها تؤمن المواصلات لإيصال بضائع الكارم منها إلى موانئ البحر المتوسط، وعندما قام بعض العابثين من بعض القبائل التي اعتادت سلب القوافل المارة بها⁵³ بتوجيه القوافل، -ومنها قوافل تجارة الكارم القادمة من الهند- أن تسلك طريق الخليج العربي، والعراق حتى لا تمر بعدن، حيث قطاع الطرق، ومنها إلى

⁵⁴ مصر. وقد بلغت عناية السلطان قلاوون بتجار الكارم، أنه أصدر مرسوماً في سنة 687هـ/1288م، وجهه إلى ملوك العراق، والحجاز، والهند، والصين، واليمن وسلاطينها، يحثّ فيها تجارهم على القدوم إلى مصر، وتنشيط علاقاتهم التجارية معها⁵⁵، وإلى ما سوف يحظون به من أمان، وعدل، وحسن معاملة من المسؤولين في الموانئ المصرية⁵⁶، وأشار إلى محاسن مصر، وموقعها كوسيط في التجارة الدولية⁵⁷. وعلى الرغم من خوض المماليك حروباً كثيرة مع المغول، فإن التجارة، وخاصة تجارة الكارم، لم تنقطع بين العراق وسلطنة المماليك في بلاد مصر والشام، بل تضامنت العراق مع المماليك بعد غزو القبارصة للإسكندرية سنة 767هـ/1365م، وخصوصاً عندما ذهب بعض التجار القبارصة إلى العراق، لكن الخان المغولي لم يمكنهم من ذلك، وقال لهم: "أنا اسمي أويس بن حسن بن حسين⁵⁸، أرجعوا إلى سلطان مصر، واستدركوا ما أفسدتم في الإسكندرية، وأتوني بخط سلطان مصر بدخولكم تحت طاعته، وحينئذ تبيعون ببلدي، وتبتاعون منه"⁵⁹.

أما الأثر التجاري فقد كان لتجار الكارم إسهامات فاعلة في مجال العمل التجاري، وقد اتخذ تجار الكارم العراقيون في مصر منصب الوكيل لتنظيم العلاقات التجارية فيما بينهم، ففي كثير من الأحيان كان رؤساء التجار يعتمدون على عدد من المستخدمين لمباشرة شؤون تجارتهم سمّوا بالوكلاء⁶⁰، وتعني نائب التاجر⁶¹، وعمله يتمحور في جلب متاجر البلاد التي يفدون عليها، أو يستقرون بها، ويرّوجون فيها للمواد التي يحملونها إليهم⁶²، وكذلك استيفاء ديون مرؤوسهم، ومن الوكلاء من يعمل لأكثر من تاجر⁶³، والتعامل بين التاجر والوكيل قائم على أساس الثقة⁶⁴، فكان التجار العراقيون يطلقون يد الوكيل في البيع، واستيفاء الأموال⁶⁵، ومن مهام الوكيل أيضاً متابعة أعمال رؤسائهم في الموانئ، والمدن المتعامل معها، ويشرف على تسويق بضائعه،

ويشتري له السلع التي يحتاجها، ووكيل التاجر الناجح هو الذي يستطيع الحصول على توكيلات متعددة من التجار لمباشرة أعمالهم، والقيام على شؤونهم في غيابهم⁶⁶، وقد تمتع هؤلاء الوكلاء المقيمون بالموانئ بامتيازات خاصة، من قبل حكامها⁶⁷.

وعلى الوكيل أيضاً أن يبني مخزناً يسمى وكالة، يخزن فيه بضائع عملائه، يكون بمثابة مكتب لمتابعة عملياته وصفقاته التجارية بوجه عام، أو للسلع التي تخصص فيها، كذلك كان يقوم بدور الصراف⁶⁸، حيث يودع التجار أموالهم لديه، ويقوم هو بالدفع نيابة عنهم، وتدرجياً أصبحت الوكالات تشبه مكتب البريد، حيث كانت تُرسل إليها الرسائل الخاصة بالعملاء⁶⁹، ويبدو أن الدولة ساهمت أحياناً ببناء الوكالات، ففي إشارة وردت لدى ابن ميسر⁷⁰ تذكر "أنه في سنة 516هـ/ 1122م تم تشييد دار للوكالة في القاهرة للتجار الواصلين من العراق"، ويبدو أيضاً من بعض إشارات وثائق الجنيزة، أن الدولة كانت أحياناً تعين بعضهم كوكلاء، أو على الأقل توافق رسمياً على تعيينهم، وعندها تضع الدولة في اعتبارها مكانة هذا الشخص بين زملائه، وحسن سيرته، ودقة عمله⁷¹، وقد قدر ابن حجر عدد التجار الكارمية مع وكلائهم بأكثر من ثلاثمائة: مائتا تاجر كارمي، ومائة وكيل لهم في بداية عصر السلطان الناصر محمد⁷²، ومن التجار الكارمية الذين كان لهم وكلاء: التاجر الكارمي ناصر الدين محمد بن مسلم، فقد كان له عدد من الوكلاء يرسلهم إلى جهات مختلفة، كالهند، والحبشة، وغرب إفريقيا⁷³، وكان لبعضهم وكلاء محليون أيضاً وأصبح التجار ممثلين للحضارة الإسلامية التي صارت من الناحية المادية كثيرة المطالب، وأصبحت سفن المسلمين، وقوافلهم تجوب كل البلاد، فاحتلت التجارة الإسلامية المكانة الأولى في التجارة العالمية، وكانت بغداد والإسكندرية هما اللتان تقرران أسعار البضائع إلى أهم موانئ التجارة

التي ساهمت بنصيب وافر في رواج تجارة الكارم، وهي: سيرا⁷⁴، ثم تأتي جزيرة قيس (كيش)⁷⁵، ومدينة هرمز⁷⁶."

3- أهم الأسر التي اشتهرت بتجارة الكارم وإسهاماتها:

كان تجار الكارمية على شكل عوائل، رئاستها وراثية تنتقل من الأب إلى الابن، جيلاً بعد جيل⁷⁷، فالأبناء يتعلمون أصول مهنتهم في سن مبكرة، ويبدؤون في إدارة أعمالهم، والقيام برحلات تجارية بعيدة⁷⁸، وأهم شروط اختيار الرئيس أن يكون من أهل المهنة، وأكثر الكارمية مالاً وجاهاً ونفوذاً وخُلُقاً⁷⁹، ويبدو أن السلاطين كانوا يتدخلون أحياناً في اختيار، أو تغيير رئيس الكارمية بناءً على مدى ولائه للسلطان، أو ما أسدى إليه من خدمات اجتماعية وسياسية، أو مادية لمكانته التجارية⁸⁰، وإن وجود هذا التنظيم الداخلي لتولية منصب رئيس تجار الكارم، والشروط المحددة لمن يتولى ذلك يدل على وعيهم بأبعاد التجارة التي يمارسونها، وأن من تسند إليه مهمة الرئاسة يجب أن يكون على دراية تامة بهذه التجارة، ليكون مرجعاً للتجار عند الاختلاف، وأن يكون ذا مال، بل أكثرهم مالاً، ليكون مرجعهم عند حاجتهم، تزداد ثقته بهم به.

أما تدخل السلطة أحياناً في تعيين رئيس لتجار الكارم فمحدود، ومتى وجد فهو مؤشر على بسط سلطة الدولة. وسعيها للإفادة من هذه التجارة في اقتصادها من خلال كسب ولاء هؤلاء التجار.

وقد ورد في المصادر التي أرخت للدولة المملوكية أسماء لعائلات، وبيوت تجارية تولّى رؤساؤها الكارم منذ العصر الفاطمي، وحتى العصر المملوكي حفل تاريخها بالعمل في توطيد مكانتها المالية، وتعددت مآثرهم الجليلة، أمثال أسر الكويك، والربعي والدمامي⁸¹، والبالسي، والطنبدي⁸²، والمخزومي، والخروبي، والمحلي⁸³. ومن الواضح أن هذه الأسر الكارمية لم يكن بينهم تنافس، بل كانوا

يشكلون طائفة واحدة، وكانوا مجتمعون على رئيس واحد، تربط بينهم قيم الإسلام⁸⁴.

وقد ورد في وثائق الجنيزة المتعلقة بالنشاط التجاري الإشارة إلى أهم البيوت التجارية في مصر، والعراق منهم على سبيل المثال بيت أبي الفرج يوسف بن يعقوب بن عوكل، وأظهرت الوثائق حجم تعاملاته المالية والتجارية في تجارة الكارم مع العراق وغيرها، وهو أقدم نشاط تجاري مارسه أسرة تاجرت في التوابل، وتتضمن هذه الأوراق مراسلات لأربعة أجيال من بيت عوكل فيما بين سنة (369-469هـ / 980-1076م)، ويقول ستلمان⁸⁵ Stilman الذي درس أوراق أسرة عوكل أنّها استقرت في الفسطاط، ودليله أنّ أغلب الرسائل المرسلة إليها وجهت إلى هناك.

يتبين من تتبع تاريخ التاريخ أنّ بعض بيوتات وأسر تجارة الكارم في مصر حصلوا على ألقاب عدة، منها لقب كبير التجار⁸⁶، وحصل بعضهم على ألقاب أخرى أطلقت عليهم من قبل عامة التجار من قبيل الاحترام⁸⁷، مثل شاهبندر التجار⁸⁸، وكذلك ملك التجار⁸⁹، لكن الملاحظ أنّ هذه الألقاب لم تكن شائعة، بل حدثت في حالات قليلة، وهناك عدد من تجار الكارم سُموا أعيان التجار⁹⁰، وفي أحيان أخرى لقبوا بالجناب العالي⁹¹، وملجأ الفقراء والمساكين⁹²، ومن الجدير بالذكر أنّ بعض هؤلاء الرؤساء تولوا إمارة بعض الولايات، كالذي حدث للتاجر الكارمي حسن بن مزلق، الذي أنعم عليه السلطان برسبائي بإمرة جدة في سنة 841هـ / 1437م⁹³.

لقد قدّم تجار الكارم خدمات جليلة لدولة المماليك، وساهموا مساهمة فعالة في تنمية اقتصادها، ومواردها المالية، وكانوا الفئة المميزة والمفضلة لدى سلاطين العراق ومصر وغيرها من البلاد⁹⁴؛ وهذا يدل على أمرين: الأول المكانة

التي حظي بها تجار الكارم لدى هؤلاء السلاطين، الأمر الآخر رغبة هؤلاء السلاطين في الاستفادة منهم في النواحي الاقتصادية والتعليمية. وقد كان لتجار الكارم أثر كبير في المجتمعات الإسلامية، والارتقاء بالحياة الاجتماعية والثقافية؛ إذ شيدوا المساجد، المستشفيات، والمدارس، وساعدوا المحتاجين⁹⁵، ومن أبرزهم التاجر الكارمي نور الدين على الخروبي؛ فقد أوصى بمائة ألف درهم فضة لعمارة الحرم المكي الشريف⁹⁶، والتاجر الكارمي برهان الدين بن المحلى؛ فقد قام بتجديد جامع عمرو بن العاص، وأنشأ مدرسة بجوار قصره على النيل⁹⁷، والتاجر الكارمي علي بن محمد الطنبدي الذي اشتهر بحسن المعاملة وإقراضه لكل محتاج دون ربح⁹⁸.

وبرز ممن عمل في تجارة الكارم علماء في الحديث النبوي، فاشتهر منهم أبو سعيد غرس الدين الأفقيسي الذي كان مدرساً للحديث، وشاهدًا عدلاً، وفقهًا، وشاعرًا⁹⁹، وأبو بكر محمد بن عويس بن الهلس¹⁰⁰ الذي مارس مهنة تدريس الحديث أيضًا، وكان جلال الدين المحلي عالمًا ومدرسًا للحديث في القاهرة¹⁰¹، وبدر الدين الطنبدي، الذي درس صحيح البخاري، وحدث به¹⁰²، وزكي الدين ابن رواحة الكارمي الذي كان راوية للحديث تسمع منه الكثير¹⁰³.

ومن أبرز تجار الكارم في القاهرة أبو بكر الخواجا حسن بن أحمد الطاهر¹⁰⁴ كان مدرسًا للحديث، والحلي أنس بن هاشم بن إبراهيم¹⁰⁵، وعبد اللطيف بن مسند مدرس حديث في مصر¹⁰⁶، ومثله في مصر أبو بكر بن محمد الشافعي، الذي كان محتسبًا أيضًا¹⁰⁷، وعمل المحيوي شهاب الدين النشاوي القاهري الكارمي مدرسًا للحديث¹⁰⁸، وممن مارس هذه المهنة أيضًا الجنب العالي سراج الدين بن مزلق لحقبة من الزمن¹⁰⁹، كما برز في تدريس الحديث من تجار الكارم ابن العز محمد بن محمد بن وجيه السخاوي القاهري الفقيه¹¹⁰، ومن العلماء من مارس تجارة الكارم إلى جانب عمله في التدريس

عوض بن موسى المكي البزاز في مصر، وكان ابن الإصبع المكي بدر الدين مدرس حديث أيضاً¹¹¹، وأبو النقاب أبو بكر بن عبد الله الجمال إلى جانب ممارسته التجارة في الكارم في القاهرة، والطور، وغزة، ومكة، والمدينة ودمشق عمل في تدريس الحديث¹¹²، فضلاً عن أنه كان أحد الشهود العدول¹¹³. وقد انفردت ابنة رئيس التجار ناصر الدين البالسي سيدة التجار، بأنها كانت محدثة معروفة سمع منها الفضلاء، وممن قرأ عليها السخاوي، الذي أجازته العديد من علماء الحديث¹¹⁴، وعمل يحيى بن عمر بن أحمد الحوراني الحموي في تدريس الحديث، وهو من عائلة معروفة في الكارم، فقد كان والده وعمّه من تجار الكارم المعروفين، فضلاً عن ممارسة تجارته في مصر، وحماة، ودمشق، وحلب، ومكة¹¹⁵، ولأبي بكر بن النجم أبي الخير الفلوي أثر أيضاً في تدريس الحديث إلى جانب ممارسته لتجارة الكارم¹¹⁶، وقد لقب جلال الدين المصري المالكي بن سويد بملك المحدثين إلى جانب ممارسته التجارة في صعيد مصر، ومكة، والمدينة، وكنبائي¹¹⁷.

وهذا يدل على أن التجارة لم تشغلهم عن تربية أولادهم، وتعليمهم العلم، وتوجيههم إلى نشره.

ومنهم أيضاً عبد الجبار الأموي العثماني الإسكندري الذي سمع الحديث عن شيوخ الإسكندرية كالحافظ السلفي¹¹⁸، وحدث فيها، وفي القاهرة، والصعيد، واليمن¹¹⁹، وبرع الحسين محمد بن عبد الله الطين بشرح الكشاف للزمخشري، وسماه المشكاة، وشرح مختصر المازني¹²⁰، وعرف عن أحمد بن خالد أبي بكر الفارقي الكارمي أنه حفظ التنبيه¹²¹، وقرأ القراءات، واعتنى به الشيخ جمال الدين الظاهري لإحسان أبيه إليه، فأسمعه الكثير، وأخرج له أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً حدث بها مراراً، وأخرج له إبراهيم بن القطب

الحلي معجماً في مجلدين، قرأت بخط البدر النابلسي¹²²، وحدث التاجر الكارمي تاج الدين محمد بن عثمان بن عمر البليسي في الإسكندرية أيضاً¹²³. كما برز من عائلة الدماميني من الكارمية مَنْ عُرِفَ بالفقه، ومنهم الشيخ شريف الدين محمد بن سليمان بن جعفر الدماميني الذي كان بارعاً في الفقه، وأصول العربية¹²⁴، وكان العلامة بدر الدين محمد أبي بكر الدماميني عالماً في الفقه، درس على فضلاء عصره في بلده الإسكندرية، وكان له عدد من التصانيف المعروفة التي اعتمدها العلماء بعده، منها شرح التسهيل لابن مالك الطائي، وهو شرح معروف، وله شرح على صحيح البخاري سماه مصابيح الجامع، وله مصنف تحفة الغريب في شرح مغني اللبيب¹²⁵، وقورنت مصنفاته مع مصنفات العلماء والشيخ الكبار¹²⁶، وقد أجاز لبعض العلماء في شرح العمدة¹²⁷، والألفية¹²⁸.

وعرف عن عتيق بن محمد الدماميني أنه أحد فقهاء مدينة قوص¹²⁹، وحفظ التنبيه، ومنهم أيضاً يحيى بن حجازي الدماميني الملقب بالعميد، الذي قرأ القراءات على ابن حفاظ¹³⁰، وكان متديناً مقبول الشهادة¹³¹.

أمّا جلال الدين المحلي، فبرع في الفقه كلاماً، وأصولاً، ونحواً، ومنطقاً ألف كتباً عديدة منها شرح جامع الجوامع في الأصول، وشرح بردة المديح، وشرح الشمسية في المنطق¹³²، وتفسير الجلالين الذي اشترك في تأليفه معه تلميذه جلال الدين السيوطي، وهو من الكتب التي اعتُمدت في جنوب شرق آسيا لدراسة العلوم الدينية¹³³، عُرِفَ بالتقشف والصلاح والورع والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والابتعاد عن الحكام بالرغم من محاولاتهم التقرب إليه¹³⁴، وقد قال عنه الشيخ كمال الدين¹³⁵ أنّه من علماء عصره¹³⁶، وعرف عن زكي الدين الخروبي تفقهه، فضلاً عن العديد من أعمال البر، والصدقات التي قام بها، وأوصى أن يفرق على طلبة كلّ مذهب ألف دينار¹³⁷.

ولما كان العديد من تجار الكارم على قدر كبير من العلم والثقافة، عنوا بعقد المجالس العلمية أو حضروها، فقد كان لزي الدين الخروبي مجلس لقراءة كتب الصحاح، لاسيما صحيح البخاري الذي يقول العسقلاني أنّه سمع منه آنذاك¹³⁸، وكان للمجالس العلمية للفقهاء ابن العدل رضي الدين السفار الواسطي المحدث الفضل في نشر علمه، وفقهه في مصر، ودمشق، وعدن من خلال طلبته الذين حضروها¹³⁹. ومنهم من وازب على حضور مجالس العلماء، ومجالس السلاطين، فقد وازب زكي الدين الخروبي حضور مجالس الشيخ ابن رزين¹⁴⁰، وقرأ عليه صحيح البخاري¹⁴¹. وعرف عن موسى بن عبد السلام بن عطية الدماميني أنّه كان يحضر مجالس الشيخ تقي الدين القشيري، وقد سمع الحديث أيضاً في مجالس الشيخ بهاء الدين ابن بنت الجميزي، أمّا محمد بن عبد الله بن عبد الجبار الأموي، فقد كان يحضر مجالس الحافظ السلفي، وغيره من الشيوخ، وقد سمع منه شيخ الإسلام الحافظ المنذري¹⁴²، وقد درس على يد الشيخ أبي الحسن المفضل المقدسي¹⁴³، الذي كان يثني عليه كثيراً لنباهته¹⁴⁴، ورافق عبد العزيز بن الكويك السخاوي، وأخذ عنه الكثير¹⁴⁵، وعرف عن عبد اللطيف بن الكويك حبه لحضور مجالس العلم، فقد أجاز له المزي¹⁴⁶، وهو من علماء الإسكندرية، والبزالي¹⁴⁷، وزينب بنت الكمال¹⁴⁸، ولأزم القاضي عز الدين بن جماعة¹⁴⁹، ويذكر العسقلاني أنّه قرأ عليه كتاب الشفاء للقاضي عياض من أوله إلى آخره، وكثر طلبته، وأخذوا عنه، ولأزموه، وقد أجاز للعسقلاني بجميع مروياته ومسموعاته¹⁵⁰.

ومما لا شك أن ذلك قد انعكس على معاملاتهم، وصداقتهم؛ ولذا كسبوا العلاقة مع الدول التي يتنقلون فيها، والأفراد الذين يتعاملون معهم، وساد فيهم الوفاء، وحسن المعاملة. وهذا تجسيد لتعاليم الدين الإسلامي،

ومؤشر على تطبيقهم لمفاهيمه الحقيقية، وأن أي خلل في التطبيق ينعكس على الأثر في المعاملة. ويدل اشتهار عدد من الأسر بهذه التجارة إلى جانب العلم، وخصوصاً علم الحديث، أو العمل في مجال التدريس، على حرصهم على تحقيق النفع المتعدي للغير؛ سواء في المجال العلمي، أو التجاري، يضاف إلى ذلك أن عملهم في هذه التجارة أسهم في وصولهم إلى مواقع القرار، وتقلدهم مناصب يستطيعون من خلالها نفع غيرهم، وتمثيل القيم الإسلامية الحقيقية.

الخاتمة

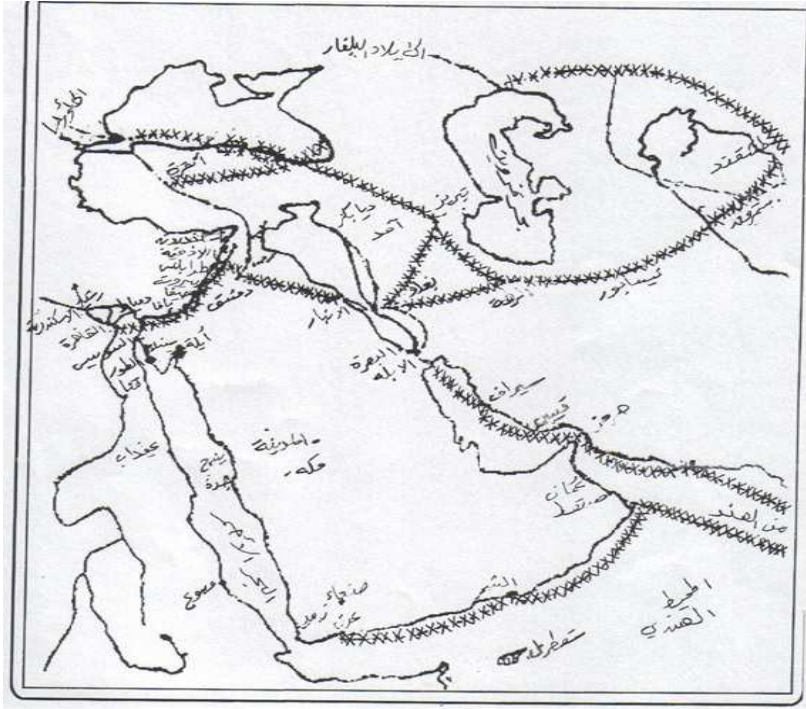
من دراسة هذا الموضوع تبين أن تجارة الكارم بين مصر والعراق تُعد دليلاً واضحاً على عمق التواصل الحضاري بين حضارتي النيل والفرات، وأنها أسهمت في تقوية العلاقة الاقتصادية، والتواصل الحضاري، وكشفت الدراسة عن جانب مشرق من جوانب عصورنا الإسلامية الخالدة في تلك الحقبة الزمنية، والمتمثل في رقي التعامل التجاري، وأن تجار الكارم استطاعوا إثبات أنفسهم بحسن معاملاتهم.

وقد توصلنا من خلال البحث إلى الآتي: أن الكارمية فئة تجار قديمة عُرِفَت على مر الحضارة الإسلامية، وتعددت تسمياتها، وكلها تدل على العناية بالتجارة البحرية، وبأنواع التوابل، وقد رجحنا بعد دراسة الآراء أن أصل تسميتها أطلقت تحديداً على التجار الذين تاجروا بالتوابل. وبينت قيام تبادل تجاري بين مصر والعراق، وأن تجارة الكارم كانت من أهم السلع التي تم تداولها. وكشفت أن تجار الكارم أسهموا في توثيق العلاقات الدولية، على المستوى السياسي والتجاري، بين مصر والعراق. وأن تجار الكارم مثلوا تنظيمًا تجاريًا كان يزداد قوة رغم قسوة الظروف السياسية، والاقتصادية التي مرت على الدول الإسلامية، وصلت إلى أن السلاطين وثقوا بتجار الكارم، وأرسلوهم سفراء.

كما تبين أن تجارة الكارم كانت لها دور بارز في مجال ازدهار العمل التجاري بين البلدين، ووصل مداه إلى حد اعتلاء تجار الكارم العراقيين في مصر مناصب مهمة، مثل منصب الوكيل، لتنظيم العلاقات التجارية فيما بينهم، وبينت العلاقة بين فئة تجار الكارم كان أسرياً، ووراثياً، ومنظماً داخل الأسرة الواحدة، ومع الأسر الكارمية الأخرى، واتضح أن كثيراً من تجار الكارم في مصر كانوا من المهتمين بالعلم الشرعي، وبالتدريس، وخصوصاً في علم الحديث، وقد كان لاهتمام تجار الكارم بالعلم الشرعي أثر في معاملاتهم التجارية، ونشر مبادئ وقيم الاقتصاد الإسلامي.

ومن التوصيات التي رأت الباحثة أهميتها، ما يأتي:

- 1- أثبتت الدراسة أن هناك مخزوناً حضارياً إسلامياً لتجارة الكارم تحتاج إلى بحث، ودراسة
- 2 - أفراد دراسة مستقلة لتتبع الأسر الكارمية التي عنيت بالعلم، والتجارة، وكان لها أثر في الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية وقد تبين أن ذلك يحتاج للمزيد من البحث والدراسة.
- 3 - لتجار الكارم أثر في نشر الإسلام ومبادئه، واللغة العربية، ولذلك توصي الباحثة بدراسة وبحث هذا الجانب.
- 4 - دراسة المنشآت التجارية التي قامت على طول الطريق التجاري لتجارة الكارم؛ لما لها من أهمية تاريخية وحضارية.



ملحق الدراسة

الطريق البري لتجارة الكارم من وسط آسيا والهند إلى بلاد العراق، والشام، ثم مصر نقلاً عن نعيم فهمي زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى، القاهرة، 1973م.

الهوامش:

- 1- انظر: شلمون جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة: عطية القوصي، الكويت - 1980، ص 189.
- 2- عطية القوصي، وثائق الجنييزة وأهميتها في دراسة تاريخ مصر الإسلامية، (مجلة جامعة القاهرة، ع5، 1974) ص 185 - ص 190.
- 3- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (تصحيح: محمود سلامة، مطبعة الواعظ، القاهرة - 1906) ج4، ص32: القلقشندي، ضوء

- الصبح المسفر، وجني الدوح المثمر، (تحقيق: محمود سلامة، مطبعة الواعظ، القاهرة - 1906) ص 253.
- 4- الكانم: بلاد تقع في وسط إفريقيا، بين بحر الغزال وبحيرة تشاد في السودان الغربي. السيد عبدالعزيز سالم وأحمد المختار، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر، بيروت، 1948، ص 112.
- 5- كان يطلق على التاجر الكارمي في العصر الفاطمي تسمية: بوهر، وتعني تاجر البهار في اللغة الهندية السنسكريتية،، Istanbul - 1949، P. 53. B, Lewis. The Fatimids and The Route to India
- 6- الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مرجع سابق، ج 4، ص 32.
- 7- „esorient ZgeschoilD)EinBeitrage ,Kanfleute—ÜberDieGruppeDesKarimi W ,FischelHandelsunterDauMumluken ، 1937-Rome، (P. 67—82
- 8- البصري، تاريخ البصري، (تحقيق: أكرم حسن العلي، دمشق - 1408هـ) ج 1، ص 192.
- 9- 46. P. 2, T. 1966—Paris ,SupplementAuxidiEtonnariesArabes „R. Doze
- 10- المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئزية، (مطبعة بولاق - 1270هـ) ج 2، ص 89.
- 11- صبحي ليب، التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، (المجلة التاريخية المصرية، 1952) ج 4، ص 6.
- 12- الشاطر عبد الجليل بصيلي، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن 7-19 م، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر - 1972) ص 29، ص 391.
- 13- إذ يقول: "ومن طريف أخبار تجاره ومن ركب ما حدث من أسحاق بن اليهودي، فحدثني غير واحد من إخواننا البحرين أنه ورد عمان من الصين في مركب لنفسه وجميع مافيه له". الرامهرمزي، بزرك بن شهریار، عجائب الهند بره وبحره وجزايره، (مصر - 1908) ص 141.
- 14- محمد بركات البيلي، بداية الكارم ومعناها في العصر الفاطمي، مجلة المؤرخ المصري، ع 13، 1994، ص 94.
- 15- ابن أبيك الدوداري، كنز الدرر وجامع الغرر، (المسعى الدرة المضية في الدولة الفاطمية)، (تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة، عيسى البابي الحلبي القاهرة - 1961)

- ج6، ص380، ص381.
- 16- البيلي، بداية الكارم، ص93.
- 17- القرآن الكريم سورة طه، آية:39. واليم: هو الذي أمرت أم النبي موسى (ع) حين ولدته، أن تجعله في تابوت ثم تقذفه فيه. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، (تحقيق: يوسف الخياط، القاهرة-1979، مادة يم) ص4966.
- 18- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (باريس-1861) ج2، ص301.
- 19- قوص: على ساحل النيل من الجانب الشرقي من النيل، وهي مدينة كبيرة عظيمة واسعة، قسبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، وبينها وبين قفط فرسخ. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (3/1133).
- 20- فندق: أصل تسميته من الكلمة اليونانية Pandukeeium التي كانت تطلق على مثل هذا النوع من المنشآت. وهي تدل على المبنى الذي فيه مخازن للسلع وحجرات للنوم. نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - 1973) ص290، آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط3، مصر-2003، ج2، ص284.
- 21- القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص464. ومن المحتمل أن تشمل كلمة اليم المحيط الهندي، لأن بضائع الكارمية كانت أصلاً تمخرع باب المحيط الهندي حتى غيرها من البلاد.
- 22- يمكن اعتبار نقل البضائع على ظهور الإبل عبر الصحراء تكملة لمرحلة المراكب. البيلي، بداية الكارم، ص96، ص97.
- 23- أحمد مالك الفتیان، وعامر سليمان، محاضرات في التاريخ القديم، (جامعة الموصل، كلية الآداب) ق1، ص148.
- 24- حسين ظاهر حمود، (التجارة في العصر البابلي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب - 1995) ص89.
- 25- ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، (نشر: تشارلز تروري، ليدن - 1920) ص206.

- 26- لم تذكر المصادر الميسرة اسم هؤلاء التجار صراحة خلال الفترة المحصورة ما بين 92-456هـ / 710 -1063م، فقد كانت الكتابات تسميهم بالتعميم التجار المسلمين، وبالتخصيص التجار المصريين. ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي الكنانى العسقلاني، أنباء الغمر بأبناء العمر، (تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - 1969) ج3، ص42؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، (تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - 1971) ج3، ص235.
- 27- ابن أبيك، الدرة المضية في الدولة الفاطمية، (تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار الشرقية، القاهرة - 1961) ج6، ص380، ص381.
- 28- صبح الأعشى، ج3، ص520، ص524.
- 29- جويتين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص279، ص290.
- 30- Ashtor, The Karimi Marchants, April (Journal of the Royal Asiatic society), 1956, P. 45-56؛ ليبب، التجارة الكارمية، ص53.
- 31- ابن أبيك، الدرة المضية، ج6، ص380، ص381؛ الفلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص520، ص524.
- 32- عادل إبراهيم يعقوب، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط، (القاهرة، د.ت) ص41.
- 33- سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - 1990) ص152.
- 34- أرنات: صليبي فرنسي مشهور، وهو من أخلص التابعين لملك بيت المقدس واسمه شاتيون، أو أرولد، أو رينولد، ويسميه العرب البرنس أرنات. المقرئزي، السلوك، ج1، ص64.
- 35- حصن الكرك: أحد القلاع الشديدة الحصانة، يقع على جبل شاهق الارتفاع في أطراف بلاد الشام من نواحي البلقاء. الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت، معجم البلدان، (معجم البلدان، مطبعة مصر - 1324)، ج4، ص312.
- 36- أيلة: مدينة على شاطئ البحر، في منتصف ما بين مصر ومكة مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، تقع في الطرف الشرقي للبحر الأحمر مقابل القلزم، كانت صغيرة جدًا، وهي الآن ميناء العقبة، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (1/216)؛ معجم البلدان (1/292).

- 37- ابن الأثير، عز الدين علي أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، (بغناية تورنبج، القاهرة - 1303) ج11، ص183.
- 38- القوصي، إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 1967، ص176.
- 39- ابن العميد، أخبار الأيوبيين، (تحقيق: كلود كوهن، نشر المجمع العلمي الفرنسي، دمشق - 1955) ص56.
- 40- الرحلة، (بيروت - 1981)، ص66.
- 41- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية في التاريخ، (ط1، مكتبة المعارف، بيروت - 1966) ج13، ص310؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، (تحقيق: محمد مصطفى زيادة، وسعيد عبد الفتاح عاشور، مصر- 1970)، ج1، ص613، ص739، ص818؛ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي الكنانى العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (حيدر آباد - 1972) ج2، ص406، ص410؛ ج3، ص327، ج4، ص12، ص23، ص257؛ السخاوي، محمد عبدالرحمن بن شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (دار الجيل، بيروت)، ج5، ص153.
- 42- سونيا هاو، في طلب التوابل، (ترجمة: محمد عزيز رفعت ومحمد النحاس، القاهرة - 1975) ص13.
- 43- أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2000) ص483-500.
- 44- زكي، طرق التجارة، ص2124.
- 45- أشتور، آس، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، (ترجمة: عبد الهادي عباس، دار قتيبة، دمشق - 1985) ص337، ص378.
- 46- تبريز: مدينة من أشهر مدن أذربيجان، وهي ذات أسوار محكمة تمر بها الأنهار. وهي من مدن إيران. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص13.
- 47- تفليس: مدينة تقع في أقصى شمال غرب أرمينية وكان أهلها مسلمون ونصارى، وكانت إحدى ثغور المسلمين ضد الروم البيزنطيين. الإصطخري، المسالك والممالك، (ط2، ليدن - 1927) ص185.

- 48- أبو محمد عبدالله الطيب العدني أبو مخزومة، تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها، (نشر: علي حسن وعلي عبد الحميد، دار الجيل، بيروت-1936)، ص152.
- 49- المقرئزي، السلوك، ج2، ص3.
- 50- العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، (القاهرة - 1312هـ) ص49.
- 51- بدر الدين الصيني، العلاقات بين الصين والعرب، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - 1950) ص239، ص240. أبو مخزومة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص138.
- 52- المقرئزي، السلوك، ج1، ص700.
- 53- الدوادار، بيبس ركن الدين المنصوري الخطائي المصري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، (تحقيق: زبيدة عطا، عين للبحوث والدراسات، القاهرة-2002) ص231، ص232.
- 54- ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات، (تحقيق: قسطنطين رزق ونجلاء عز الدين، بيروت-1939) ج8، ص65.
- 55- القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص421، ج13، ص339-342.
- 56- ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص66، ص67.
- 57- أويس بن حسن بن الشيخ حسين: أو أويس الأول، وهو ثاني السلاطين المغول الأيلخانات على العراق (756-776هـ/ 1355-1374م) وكانت بغداد مركز نشاطه، وتمكن من الاستيلاء على تبريز التي كانت في يد المغول القفجاق. المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص330.
- 58- محمد عبد الغني الأشقر، الملحمة المصرية في عهد المماليك الجراكسة، (ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة - 2001) ص39.
- 59- المقرئ، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، (نشر: محي الدين عبد الحميد، القاهرة - 1949) ج2، ص628.
- 60- هذه الوظيفة تشبه وظيفة قناصل المدن الإيطالية في بلاد الشرق، جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص276.
- 61- ليبب، التجارة الكارمية، ص31، ص32.
- 62- أوفد التاجر الكارمي، سراج الدين بن الكويك أحد وكلائه مع الملك منسا موسى إلى بلاد التكرور للتجارة، واسترداد أمواله، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص405.
- 63- عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس

- الهجري الثاني عشر الميلادي، (دار الشروق، بيروت، 1983) ص281.
- 64- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، (أخرجه جماعة من الفقهاء، إشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - 1981) ج6، ص207.
- 65- Ahmad, Maqbul, Arab Relations - Indo, New Delhi, 1978 - P. 151.
- 66- جويتين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص272.
- 67- يصدر الصراف خطاب ضمانات لتسهيل مهمة التاجر فبعد تسليمه لمبلغ معين يقوم بتوجيه تعليمات إلى وكيله في البلد الذي يريد التاجر أو المسافر تحويل المبلغ إليه. شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، (الكويت - 1990) ص276.
- 68- جويتين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص272.
- 69- محمد بن علي تاج الدين، تاريخ مصر، (نشر: هنري ماسيه، القاهرة - 1919) ص81.
- 70- جويتين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص257، ص273.
- 71- أنباء الغمر، ج1، ص96.
- 72- ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص96، ج6، ص9.
- 73- سيراف: مدينة جليلة على ساحل البحر، كانت قديماً فرضة الهند، وكانت قصبة أردشير خرة من فارس، وهي في لحف جبل عال جداً، بينها وبين البصرة سبعة أيام، ولها أهمية خاصة لبلاد العراق، وفارس، والهند، والصين، حيث تعد أهم مراكز التجارة في الخليج العربي، وكانت مراكز الصين الكبيرة تأتي إليها لتنقل ما تجمعها في مينائها من بضائع العراق، وعمان. مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع (2/765).
- 74- كيش: جزيرة في بحر عمان وسط البحر تعد من أعمال فارس لأن أهلها فرس، وهي مدينة ذات بساتين وعمارات جيدة، وهي مرفأً مراكز الهند وبر فارس، وبها مغاص للؤلؤ، وتعد في أعمال عمان لها دور الوساطة التجارية، وأغلب سكان الجزيرة دلالون وسطاء بين هذا الحشد الغفير من التجار. معجم البلدان (4/497)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (3/1139).
- 75- هرمز: بلاد تحيط بها مما يلي الشرق مفازة بين أرض بكران وأرض السند وبين

سجستان وفارس، ومن ناحية الغرب خراسان وشيء من أرض الهند، وما يلي الشمال أرض الهند، ومما يلي الجنوب المفاضة التي بين سجستان وفارس وكرمان وخراسان مدينة في البحر إليها خور وهي على ضفة ذلك البحروهي على برّ فارس، وهي فرضة كرمان إليها ترفاً المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخراسان، معجم البلدان، ج5، ص402.

Wiet, 'Les Merchands', P. 130. 76-

- 77- عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص273.
- 78- أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ص413.
- 79- ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص211.
- 80- الدماميني: نسبة إلى بلدة دمامين، وهي بلدة حسنة طيبة الهواء كثيرة الزرع. الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد، نزهة المشتاق من اختراق الآفاق، (تحقيق: رينهارتدوزي ودي غويه، ليدن-1968) ص49.
- 81- الطبندي: نسبة إلى قرية من قرى ناحية مغاغة في المنيا في صعيد مصر. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص42.
- 82- المقرئزي، السلوك، ج3، ص426.
- 83- سعاد إبراهيم الحسن، النشاط التجاري في مكة المكرمة، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1405هـ، ص228.
- 84- A.N-84, TheEleventhCenturyMerchantsHonseofIbnAwakal, GenizaStudy, A (JournaloftheEconomicandSocialhistoryoftheOrient), 1973, P. 16-17.
- 85- ومنهم محمد بن علي البالسي (ت 776هـ / 1374م). المقرئزي، الخطط، ج2، ص369.
- 86- لابدوس، مدن إسلامية في عصر المماليك، (ترجمة: على ماضي، مصر - 2001)، ص258.
- 87- حمل لقب شاهبندر التجار في جدة أحمد بن علي بن محمد الخواجا الكواز. السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص43. وكان منصب شاهبندر التجار حتى فترات متأخرة في مصر يتوارث من قبل العائلات، وكان آخر شاهبندر للتجار في القاهرة هو أحمد

- المخزومي الذي خلف أحمد عبد السلام الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، عجائب الآثار في تراجم الأخبار، (مطبعة بولاق - 1297) ج2، ص219.
- 88- أول من لقب بملك التجار هو عبد الرحمن بن زوران بصري (ت 879هـ / 1474م). السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص87.
- 89- ومنهم ابن غنوم نجم الدين الدماميني (ت 707هـ / 1307م). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص429.
- 90- الجناب العالي: أحد ألقاب التعظيم، وأقدم من تلقب به السلطان سنجر السلجوقي، وانتقل إلى الأيوبيين لكنه لم يعد يطلق عليهم وإنما استعمل للوزراء، وتدرج استخدام اللقب في عصر المماليك إلى عدة وظائف، وقد أورد القلقشندي أنه كان أرفع الألقاب بالنسبة لطبقة العلماء والقضاة والتجار أيام المماليك. صبح الأعشى، ج5، ص449، ج7، ص85.
- 91- أطلق على عمر بن محمد بن علي الخواجا الدمشقي (ت 841هـ / 1437م). السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص120.
- 92- السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص126.
- 93- سعاد الحسن، النشاط التجاري في مكة المكرمة، ص320.
- 94- المصدر السابق، ص320.
- 95- ابن حجر، أبناء الغمز، ج2/123.
- 96- المصدر السابق، ج2، ص270.
- 97- السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص507.
- 98- المصدر السابق، ج3، ص203، ص204.
- 99- المصدر نفسه، ج11، ص19، ص20.
- 100- السخاوي، الذيل على رفع الإصر، (تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود، مراجعة: علي البجاوي، القاهرة - 2000)، ص22.
- 101- المصدر السابق، ص280.
- 102- ابن حبيب، بدر الدين بن محمد بن عمر، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، (تحقيق: محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة - 1976)، ج1، ص93 حاشية (4).

- 103- السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص213، ص214.
- 104- المصدر السابق، ج2، ص323.
- 105- ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج2، ص60.
- 106- السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص74.
- 107- المصدر السابق، ج1، ص351، ص352.
- 108- المصدر نفسه، ج6، ص120.
- 109- السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص165.
- 110- المصدر نفسه، ج6، ص149، ج3، ص153.
- 111- المصدر نفسه، ج4، ص41، ص44.
- 112- العدول: هم المزكون للشهود، والمقصود أنّه مشهور بالعدل. ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج1، ص142.
- 113- السخاوي، الضوء اللامع، ج12، ص16.
- 114- المصدر السابق، ج10، ص238.
- 115- المصدر نفسه، ج11، ص92، ص93.
- 116- المصدر نفسه، ج6، ص90، ص91.
- 117- الحافظ السلفي: أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ السلفي الأصبهاني، وسي بالسلفي نسبة إلى جده إبراهيم وسلقة وتعني غليظ الشفتين. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، طلب العلم والتقى المشايخ، قدم إلى دمشق وسمع الحديث في بلاد عديدة، دخل مصر وسمع بها واستقر في الإسكندرية سنة 511هـ/ 1117م، فقصده الناس من كل مكان توفي سنة 576هـ/ 1180م، ودفن فيها وبلغ من العمر 105 سنة. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة -1950) ج1، ص150.
- 118- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، (تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت -1948)، ج5، ص5.
- 119- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص68، ص69.
- 120- التنبيه: أحد الكتب الخمسة المشهورة عند الشافعية، وأكثرها تداولاً وهو من مؤلفات الشيخ أبي علي إسحق إبراهيم بن علي الفقيه الشيرازي الشافعي المتوفى سنة

- 476هـ/1083م. الأدفوي، كمال الدين أبي الفضل معتز بن ثعلب، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، (تحقيق: سعد محمد حسن، مراجعة: طه الجابري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - 2001)، ص 81.
- 121- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 5، ص 56، ج 6، ص 187.
- 122- الدمشقي، ذيل تذكرة الحفاظ، (تحقيق: حسام الدين القدسي، بيروت) ج 1، ص 129.
- 123- السخاوي، الضوء اللامع، ج 9، ص 167.
- 124- يونس، السامرائي، علماء العرب في شبه القارة الهندية، (ط 1، القاهرة - 1959) ص 177.
- 125- السخاوي، الذيل على رفع الإصر، ص 340.
- 126- شرح العمدة: أحد مصنفات أبو الفتح محمد بن الشيخ علي بن وهب بن مطيع العشيري القوصي (625-702هـ/1227-1303م)، المعروف بابن دقيق العيد، له مصنفات في الحديث وأصول الفقه، وأصول الدين، وله خطب وشعر. السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن، حسن المحاضرة وتاريخ مصر والقاهرة، (القاهرة - 1967) ج 1، ص 143؛ السخاوي، الذيل على رفع الإصر، ص 16.
- 127- الألفية في علم الحديث: لزين الدين العراقي لخص فيه كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، وزاد عليه، وسماه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. السخاوي، الذيل على رفع الإصر، ص 259.
- 128- الأدفوي، الطالع السعيد، ص 359، ص 360.
- 129- ابن حفاظ: عبد السلام بن عبد الرحمن بن رضوان بن أبي الجود حفاظ القوصي، تصدر الإقراء بمدينة قوص، وكان مقبول الشهادة عند القضاة محترفاً، توفي بقوص سنة 685هـ/1286م، الأدفوي، الطالع السعيد، ص 320، ص 321.
- 130- الأدفوي، الطالع السعيد، ص 707.
- 131- السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص 210.
- 132- غنية ياسر القيسي، أثر الإسلام على النهضة الفكرية في جنوب شرق آسيا في العصور الإسلامية المتأخرة، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات - 2003) ص 123.

- 133- السخاوي، الذيل على رفع الإصر، ص234.
- 134- الشيخ كمال الدين: محمد بن محمد بن إمام المدرسة الكاملية، وله أخوان آخران توليا مهمة تدريس الحديث في المدرسة نفسها، اشتهروا بين الشافعية بالديانة والفقه، توفي كمال الدين سنة 874هـ/ 1469م، بطريق الحجاز. الصيرفي، أنباء الهصر بأبناء العصر، (تحقيق: حسن حبشي، ط2، القاهرة - 2002) ص211، ص425، ص264.
- 135- السخاوي، الذيل على رفع الإصر، ص292.
- 136- العيني، عقد الجمان، ص280.
- 137- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص68، ص69.
- 138- الحنبلي، ابن العماد أبو الفلاح عبدالحى، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (القاهرة - 1947) ج5، ص335.
- 139- ابن رزين: هو تقي الدين أبو عبد الله محمد بن رزين العامري، كان إمامًا بارعًا في الفقه والتفسير، متبحرًا في علوم كثيرة، ولد بحماة سنة 603هـ/ 1206م، وقرأ النحو على ابن يعيش، والفقه على بن الصلاح ولازمه، انتقل إلى مصر فانتفع به الطلبة، وولي قضاء الوجه البحري سنة 665هـ/ 1266م، واستمر قاضيًا حتى عزل سنة 678هـ/ 1279م، مات سنة 680هـ/ 1281م. السخاوي، الذيل على رفع الإصر، ص201: السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص195، ج2، ص3.
- 140- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص538.
- 141- الحافظ المنذري: الحافظ الكبير الإمام شيخ الإسلام زكي الدين أبو محمد المعري الشافعي، ولد بمصر 581هـ/ 1185م، وتفقه وبرع في علم الحديث، وولي مشيخة المدرسة الكاملية، وانقطع بها عشرين سنة، وهو تلميذ البغدادى، ولا مثيل له في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه، متبحرًا في معرفة أحكامه، ومعانيه، ومشكله، وغريبه، بارعًا في الفقه، والعربية، والقراءات، ومن مؤلفاته الترغيب والترهيب، وشرح التنبية وغير ذلك. توفي في سنة 656هـ/ 1258م. السخاوي، الذيل على رفع الإصر، ص201.
- 142- أبو الحسن المفصل المقدسي: هو الحافظ العلامة على بن الأنجب ابن المكارم اللخمي المقدسي الإسكندراني المالكي، ولد سنة 544هـ/ 1149م، في الإسكندرية وصحب الحافظ أبو الطاهر السلفي وتعلم منه، وكان من أكابر حفاظ الحديث وعلومه، وكان فقيهاً مالكيًا فاضلاً، وقد صحبه العلامة الحافظ زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم

- المنذري، توفي سنة 611هـ/ 1214م، بالقاهرة ودفن بسفح جبل المقطم. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص329.
- 143- السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص376.
- 144- السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص228.
- 145- المزي: جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، ولد سنة 654هـ/ 1256م، وتوفي سنة 742هـ/ 1341م. المقرئ، السلوك، ج3، ص102.
- 146- البزالي: الإمام الحافظ المؤرخ أبو عبد الله علم الدين الإشبيلي الأصل الدمشقي الشافعي ولد سنة 577هـ/ 1338م. وينسب إلى بزرالة وهي قبيلة من قبائل البربر. كان معروفاً بدراسته لعلوم الدين سمع منه الكثير من المشايخ في دمشق، وله تاريخ ومعجم وهما أكثر من عشرين مجلد. سكن في دمشق إلى أن توفي سنة 636هـ/ 1227م.
- 147- الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص182.
- 148- زينب بنت الكمال: مسند الشام أم عبد الله بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية الصالحة روت عن محمد بن عبد الهادي وسبط ابن الجوزي وجماعة آخرين، وأجازت لها عجيبة البقدارية، وابن الخير، وابن العليق وعدد كثير، وتكاثر عليها الطلاب من كل مكان وقد تفردت في روايات كتب كبار العلماء، وتوفيت عن عمر ناهز 94 عامًا، سنة 740هـ/ 1339م. الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص126.
- 149- عز الدين بن جماعة: الشيخ محمد بن شرف الدين أبي بكر ابن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين، ولد سنة 759هـ/ 1357م، اشتغل في سن مبكرة، مال إلى فنون المعقول، فأتقنها اتقاناً بالغاً له تصانيف عديدة تقرب من ألف مصنف، توفي سنة 819هـ/ 1416م. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص263.
- 150- المقرئ، السلوك، ج4، ص476.